

(المجلس السابع)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد..

نواصل القراءة في كتاب [تحفة الأخيار] للشيخ عبد العزيز بن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

المتن:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

قال المؤلف **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

الشرح:

قوله **صلى الله عليه وسلم**: (كَلِمَتَانِ)؛ في أول هذا الحديث، عرفنا بالأمس أن (كَلِمَتَانِ) هنا خبر لمبتدأ مؤخر وهو: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ). أصل الجملة: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ....)؛ إلى آخره.

لكن قدّم الخبر ونوّع في أوصافه: (خَفِيفَتَانِ.. حَبِيبَتَانِ.. ثَقِيلَتَانِ)؛ هذه أوصاف، فقدّم الخبر ونوّع في أوصافه تشويقاً للسامع، وشدّاً للقلوب لتتّهيأ لسماع هذا الخير العظيم والفضل العميم، ولهذا بدأ بالخبر وقدمه ونوع في أوصافه، ثم جاء فيما بعد المبتدأ وهو قوله: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ).

وقوله: (كَلِمَتَانِ)؛ الكلمتان هما: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ وفي هذا صحة إطلاق الكلمة على الجملة؛ لأن (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)؛ هذه جملة تامة مفيدة، وقوله: (سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ أيضاً هذه جملة. ف (كَلِمَتَانِ)؛ تُطلق على الجملة المفيدة، وتُطلق على الكلمة الواحدة.

قال: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ)؛ أي أنها ليست صعبةً، وليس فيها مشقة على اللسان عندما يتحرك بها، بل هو عملٌ خفيف على اللسان، حتى إن هاتين الكلمتين مقارنةً بالكلمات الأخرى في تكرارها على اللسان يسراً وسهولة؛ وهذا واضح من دلالة الحديث، وواضحٌ في أداء المسلم لهاتين الكلمتين: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ مقارنةً بالكلمات الأخرى هي كلمة خفيفة، بعض الكلام قد يكون فيه ثقل، وقد يكون فيه شيء من الصعوبة، لكن هاتان الكلمتان فيهما خفةٌ على اللسان.

وعموماً الأذكار المشروعة هي أعمالٌ خفيفة لا تكلف الإنسان مشقةً، ولا تطلب منه جهداً، ولا يحصل له بها تعباً، وكل ذلك من خفتها، خفيفة؛ خفيفة على المرء، يعني ليس فيها ثقل عليه.

قال: (خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ)؛ وقوله: (عَلَى اللِّسَانِ)؛ أي عندما يتحرك اللسان بهاتين الكلمتين: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ فهما خفيفتان عليه.

(ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ)؛ أي وزنهما يوم القيامة ثقيل، ولاحظ هُنا! جمع بين أمرين:

- خفةٌ في العمل نفسه.

- وثقلٌ في ثوابه.

العمل خفيف ويسير جداً وثوابه عظيم، ولهذا قال بعض أهل العلم: قوله بعد ذلك: (حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ)؛ ذكر الرحمة هُنا أو ذكر اسمه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الرحمن هُنا الدال على الرحمة؛ لأن العمل اليسير الذي عليه الثواب العظيم هذا من رحمة الله بعبده أن يعمل العبد عملاً يسيراً قليلاً لا يكلفه جهداً ولا مشقة، ولكنه في الوقت نفسه ثقيل في الوزن، عظيم في الثواب عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ فهذا من رحمة الله **عَزَّ وَجَلَّ** بعبده أن رَتَّبَ على أعمالٍ يسيرة جداً يقوم بها العبد ثواباً عظيماً وأجرًا جزيلاً وهذا من سعة رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ)؛ في هذا دلالة على أن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن ثمة ميزانٌ يوم القيامة يُنصب: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية: ٤٧]؛ فثمة موازين تُنصب يوم القيامة، وتلك الموازين تزن الأعمال بمثاقيل الذر، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة، من الآية: ٧-٨]؛ فهناك موازين تُنصب يوم القيامة، وهي موازين حقيقية، الميزان الواحد له كِفَتَانِ؛ كِفَّةٌ توضع فيها حسنات العبد، وكِفَّةٌ توضع فيها سيئاته.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية: ٨]؛ الفلاح في ثقل الميزان، والميزان يثقل بالأعمال الصالحة والطاعات الزاكية، وانظر هنا ماذا يقول نبيك الكريم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ)؛ فالذي يُريد أن يثقل وزنه يوم القيامة يُكثر من الأمور التي تثقله.

وهنا في هذا الحديث أخبر **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن هاتين الكلمتين ثقيلتان في الميزان يوم القيامة، يثقل بهما الميزان، وأيضًا يثقل بـ (لا إله إلا الله) إذا خرجت من قلب صادق مُفعم بالتوحيد، ملئ بالإيمان، ملئ بالصدق والإخلاص لله **جَلَّ وَعَلَا**.

اقرأ ذلك في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، وَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ، فَيَقَالُ: أَتَنْكِرُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقَالُ: أَعِنْدَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، وَيَقُولُ: لَا، فَيُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: وَمَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجِّلاتِ؟»، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «فَتُوضَعُ الْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ وَالسَّجِّلاتُ فِي كِفَّةٍ، فَتَقْلَبُ الْبَطَاقَةُ وَطَاشَتِ السَّجِّلاتُ وَلَا يَنْثَقِلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»،

انظر ثقل (لا إله إلا الله) في الميزان، وكم من إنسانٍ يقولها لكنها لا تثقل ميزانه إذا لم تكن عن صدق، وعن يقين، وعن إخلاص، وعن إيمان، وعن توحيد لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ولهذا جاءت أحاديث تدل على أن بعض من يقول: (لا إله إلا الله) يدخل النار ثم يُخرج منها فيما بعد إذا كان يقول: (لا إله إلا الله) وهو موحدًا لله.

قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ أَذْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ».

الشاهد: أن الذكر عمومًا من أعظم ما يثقل به الميزان يوم القيامة، وهاتان الكلمتان: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ هُما أيضًا من أعظم ما يثقل به الميزان يوم القيامة.

ثم انظر أيضًا في الحديث إلى ترغيبٍ آخر في هاتين الكلمتين في قول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: (حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ). ومعنى: (حَبِيبَتَانِ)؛ أي محبوبتان يحبهما الله **جَلَّ وَعَلَا**، ويحب أن يسمعهما من عبده، يحب من عبده أن يُردّد هاتين الكلمتين، (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ فهما حبيبتان إلى الرحمن.

فالرحمن **جَلَّ وَعَلَا** يحب من عبده أن يُكثر من تكرار وترداد هاتين الكلمتين العظيمتين: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ).

قوله: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ هذا ذكرُ الله، بل هو من أعظم الذكر وأرفعه وأجله، ذكرُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيه تنزيهٌ له، وفيه إثبات الكمال والمحامد له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فمع قلة ألفاظه جمع الخير من حيث إثبات الكمال لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتنزيه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عن النقائص والعيوب، فإن قوله: (سُبْحَانَ اللَّهِ)؛ هذا التنزيه لله **جَلَّ وَعَلَا**؛ لأن التسييح تنزيهٌ لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، أسبح الله أي أنزه الله، أنزه الله عن ماذا؟ عمّا لا يليق به من النقائص والعيوب، وعن مماثلة المخلوقين، التنزيه من حيث الجملة يشمل أمرين:

- تنزيه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عن النقائص والعيوب.

- وتنزيه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عن أن يكون له مثلٌ من خلقه.

كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى، من الآية: ١١]، وكما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم، من الآية: ٦٥]، وكما قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص، من الآية: ٤]؛ فالله **عَزَّ وَجَلَّ** مُنَزَّهٌ عن الكفو والمثيل، والشبيه والنظير، وأيضا مُنَزَّهٌ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عن النقص، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ﴾ [سورة فصلت، من الآية: ٤٦]، ﴿وَمَا مَسْنَأْ مِنْ لُغُوبٍ﴾ [سورة ق، من الآية: ٣٨]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة فاطر، من الآية: ٤٤]، ﴿وَلَا يَسُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٢٥٥]، ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٢٥٥]؛ كل النقائص الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** مُنَزَّهٌ عنها، مُنَزَّهٌ عن كل نقصٍ وعيب، ومُنَزَّهٌ عن مماثلة المخلوقات، ومن يقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ)؛ لا بُدَّ ليتفجع من هذا القول أن ينطوي قلبه على تنزيه الله، وأن يُحقق ما تدل عليه هذه الكلمة من التنزيه لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ولهذا قال الحافظ ابن رجب **رَحِمَهُ اللَّهُ** في بعض كتبه قال: "ليس كل تسييحٍ بمحمود"، ما معنى هذا؟

قال: "ليس كل تسييحٍ بمحمود"، إذا كان التسييح ناشئاً عن فهم خاطئ لمفهوم التسييح؛ أي أثرٌ سيكون حينئذٍ عندما يكون عن فهمٍ خاطئٍ لمدلول التسييح.

كمن يفهم التسييح -والعياذ بالله- أنه تعطيل الصفات، يوجد من الناس من يُعطِلُ أسماء الله، ويعطل صفاته، ويعطل علوه على خلقه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ويُعطِل ما أثبتته النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لربه من الصفات ويدعي أن هذا تسييحاً، وفي الحقيقة ليس هذا من التسييح في شيء؛ هذا تعطيل لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

فالتسبيح الم محمود هو التسبيح الذي يُنزه فيه المسيح ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عن النقائص والعيوب، ويُنزه ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** عن مماثلة المخلوقين، هذا هو التسبيح، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) **وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ** ﴿١٨١﴾ **وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٨٢﴾ [سورة الصفات، من الآية: ١٨٠-١٨٢].

قال: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)؛ سبحان الله عرفنا معناها، وأنها تعني تنزيه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وتقديسه. (وَبِحَمْدِهِ)؛ قيل في الواو هنا إنها واو الحال، أي أسبح الله متلبساً بحمده، وقيل: إنها عاطفة، (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)؛ أي: أسبح الله وأتلبس بحمده، أي: أحمده **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** كما أنني أسبحه، (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ). والحمد فيه كما عرفنا إثبات الكمال لله **جَلَّ وَعَلَا**؛ لأن الحمد هو الشاء على الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** مع حبه **جَلَّ وَعَلَا**. يقول العلماء: "إذا كان ثناءً عن غير حب فهو مدح، وإذا كان الشاء عن حبٍّ للممدوح فهذا حمد"، ولهذا في حمد الله ثبوت المحبة، محبة المؤمن لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، يحب الله ولهذا يحمده، يحمده لجلاله سبحانه وجماله وكمال أسمائه وصفاته، وأيضا يحمده **جَلَّ وَعَلَا** لعطاياه ونعمه ومننه التي لا تُعد ولا تُحصى. لاحظ هنا! أن قول المسلم: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)؛ جمع في هذه الكلمة بين تنزيه الله عما لا يليق به، وبين ماذا؟ إثبات الكمال له، جمع المسلم بين أمرين في قوله: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ):

- جمع بين تنزيه الله عما لا يليق به.

- وإثبات الكمال لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

وهذا هو توحيد الأسماء والصفات، توحيد الأسماء والصفات أن تثبت الكمال لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وأن تُنزه الله عما لا يليق به، ولهذا قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة: توحيد الأسماء والصفات قائمٌ على أصليْن، ما هُما؟

- الإثبات بلا تمثيل.

- والتنزيه بلا تعطيل.

الإثبات في الحمد، والتنزيه في ماذا؟ في التسبيح.

إِذَا (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)؛ هذه الكلمة المباركة والذكر الحكيم جمع قاعدة توحيد الأسماء والصفات، (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ).

قال: (سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ هنا جمع بين التسبيح الذي هو التنزيه والتعظيم لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الدال عليه اسمه العظيم، واسم الله العظيم هذا الاسم المبارك يدل على ثبوت العظمة لله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الصفة التي يدل عليها اسمه تَبَارَكَ وَتَعَالَى العظيم هي صفة العظمة.

ولهذا جاء في الحديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما يرويه عن ربه أنه قال: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»، وثبت عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول في الركوع والسجود: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ».

العظمة هي الصفة التي دل عليها اسمه العظيم، وهي عظمة في الذات، وعظمة في الصفات، وعظمة في الأفعال.

ولهذا اسمه: العظيم؛ هو من الأسماء الدالة على أكثر من صفة؛ لأن من الأسماء ما يدل على صفة واحدة: العليم العلم، السميع السمع، البصير البصر، ومن الأسماء ما يدل على أكثر من صفة مثل العظيم، العظيم يدل على عظمة الله في أسمائه، وعظمته في صفاته، عظمته في سمعه، عظمته في بصره، عظمته في قدرته، عظمته في حكمه، عظمته في حكمته، عظمته في شرعه، عظمته في أفعاله.

كل ما كان من أسمائه وصفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَى فهو عظيم، فاسمه العظيم يدل على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أسمائه، في ذاته، في صفاته، في أفعاله، في أحكامه، فإذا قال المسلم: (سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ) في التسبيح تنزيه الله عَزَّ وَجَلَّ عما لا يليق به، وفي التعظيم إثبات العظمة لله جَلَّ وَعَلَا.

أرأيتم هذه الكلمة عندما يُردها المسلم وقلبه يستحضر معاني التعظيم، ومعاني الإجلال، ومعاني الشاء، ومعاني التقديس، والتنزيه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ كم يُحَصِّل القلب من توسع مساحة الإيمان فيه، وكم يُحَصِّل من امتلاء الإيمان في جوانحه، كم يُحَصِّل من زيادة وقوة في الإيمان في قلبه، إذا كان يُردد هذه الكلمات مع استحضار ما تدل عليه.

أما إذا كان حال الإنسان معها أنه يأتي بها على لسانه والقلب مشغولٌ عنها بأمور أخرى، تجده بلسانه يقول: (سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)، وفي قلبه يضرب حسابات تجارية، أو يحدد مواعيد، أو أمور أخرى يمشي فيها في قلبه ولسانه متحرك بـ (سُبْحَانَ اللَّهِ).

فمثل هذا ضعيف الأثر، أثر هذا الذكر الحكيم والذكر المبارك عندما يُواطئ القلب اللسان، ولهذا ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتابه [الوابل الصيب] وهو كتاب نافع ومفيد جداً في موضوع الأذكار، قسّم مراتب الذكر إلى ثلاثة مراتب:

قال: المرتبة الأولى: الذكر باللسان والقلب معاً؛ يعني أن يتحرك لسانك بالذكر، وأن يتحرك قلبك أيضاً بذكر الله.

والمرتبة الثانية: الذكر بالقلب؛ يعني اللسان واقف عن الحركة بالذكر، لكن القلب متأمل في عظمة الله، في أسمائه، في جلاله، في كماله **جَلَّ وَعَلَا**.

والمرتبة الثالثة: الذكر باللسان مجرداً؛ قال: وأعظم ما يكون في الذكر لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الذكر بالقلب واللسان، والذي يُساعدك على أن يكون ذكرك لله بقلبك ولسانك هو استحضار المعاني، معاني هذه الكلمات ومدلولاتها، يستحضر المسلم هذه المعاني عندئذ يكون لها الأثر.

أضرب لكم مثلاً يوضح شيئاً ما: النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في بعض أحاديثه أرشد من علا جبلاً أو مرتفعاً أن يقول ماذا؟ أن يقول: الله أكبر، وإذا هبط وادياً أن يُسبح الله، تفكّر لماذا؟ عندما تصعد علواً في الغالب أن صعود الإنسان إلى العلو إلى المكان المرتفع يوجد في نفسه شيء من العلو ورؤية النفس واحتقار الآخرين، أرأيتم شخصاً عندما يصعد إلى جبل عالي، أو يصعد في عمارة عالية ثم ينظر إلى الناس من أعلى وهو فوق؛ تجده ينظر إليهم باحتقار، يقول: انظر مثل الذر صغار، ويدخله شيء من رؤية النفس.

هنا أرشد النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن تقول: الله أكبر، دعك من الكبرياء الذي دخل على قلبك عندما صعدت هذا المكان العالي وكبر ربك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي منّ عليك بهذا الصعود، منّ عليك بهذه الصحة، منّ عليك بالبصر... إلى آخره.

فكبر الله اشتغل بتكبير الله عن الكبرياء الذي دخل في نفسك، إذا كبرت الله مستحضراً كبريائه في قلبك انطرد من قلبك كل آفة، وعمر قلبك حينئذ بالإيمان، وإذا نزلت في وادياً -نزلت بوادياً- فإن المناسب أن تُنزه الله، وأن تُقدسه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن النقائص وعما لا يليق به **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

الشاهد: أن هذه الأذكار ليكون لها الأثر على المسلم في ترداده لها وتكراره لها يحتاج مع ذلك إلى الدخول في معانيها، ودلالاتها، واستحضار الإيمانيات، والتوحيد، والتقديس، والتنزيه إلى غير ذلك من الأمور التي تدل عليها هذه الكلمات.

أما إذا كان الإنسان يُرددها ولا يدري ما هي؟! حتى إن بعضهم لو سُئل: ما الفرق بين: سبحان الله والله أكبر، هذه ماذا تعني وهذه ماذا تعني؟ ما يدري.

يقول: سبحان الله، ربما قال: سبحان الله في حياته آلاف المرات، ثم تستوقفه، تقول: سبحان الله والله أكبر، أيش الفرق بينهما؟ هذه على ماذا تدل وهذه على ماذا تدل؟ قصارى ما عنده أن يقول لك: كلٌّ من الكلمتين ذكرٌ طيب جاء فيه فضل في النصوص، أما المعاني لا يدري ما هي؟

والعلماء قديماً نبهوا على أن الأذكار يكون شأنها مع العبد ضعيفة الأثر إذا كان لا يعرف معانيها ولا يعرف دلالاتها.

ثم يا إخوان! عندما نقول: معاني ودلالات للأذكار ليست المسألة معضلة من المعضلات، ولا أيضاً مسألة من عويصات المسائل، معاني واضحة، وذكرٌ بين، ومعنى ظاهر، لكن يحتاج المسلم أن يقف قليلاً مع هذه المعاني ومع دلالاتها، وأن يستحضر هذا المعنى إذا فهمه وعرفه، عندما يُسبح الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

(سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ)؛ أخبر نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن هاتين الكلمتين شأنهما أنهما: (خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ).

وأسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يُعيننا، وأن يُيسر لنا ذكره كما يحب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

المتن:

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: وخرَّجَ الترمذي وغيره بإسناد حسن عن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ».

الشرح:

إيراد المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ لهذا الحديث بعد الحديث الذي قبله حديث: (كَلِمَتَانِ...)؛ إلى آخره، في غاية المناسبة؛ لأن الحديث الماضي يدل على فضيلة عظيمة جدًا لذكر الله، وعوائد مباركة تعود على العبد عندما يُحرك لسانه وقلبه بذكر الله، عوائد مباركة عظيمة جدًا.

فكان الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ لما أورد الحديث الذي بعده كأنه يُريد أن يُنبه بالمقابل إذا فَرَطَ الإنسان في مجالسه وفي أوقاته من هذا الخير العظيم والفضل العميم والثواب الكبير الذي يناله بذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ ستكون مجالسه ندامةً وحسرةً عليه يوم القيامة؛ لأن مجالسه كان متيسرًا له أن يملأها بما يُثقل موازينه يوم القيامة فأضاعها بلا شيء، أضاعها بدون فائدة، بدون ثمرة.

فالشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ كأنه يُريد أن يُنبه على هذا المعنى، لما ذكر هذا الحديث الذي فيه العوائد العظيمة والأفضال الكبيرة التي يجنيها الذاكر بذكره لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أراد أن يُنبه إذا كان الإنسان خلاف ذلك، تمضي عليه المجالس تلوا المجالس ويقوم منها ولا يتحرك فيها بذكر الله، أي ثمرة ستكون؟! أي أثر سيكون؟!

يقول الشيخ هنا: أورد الشيخ هنا حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ)؛ يعني: حسرة وندامة، أو أيضًا قيل: نقص؛ وأي نقص أشد من أن يكون عندك هذه الفُسحة المباركة لتنال بذكرك لله عالي الدرجات ورفيع الرتب ثم تقوم من المجلس ولم تُحَصِّلْ شيئًا! (إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ)؛ إلا كان عليهم حسرة وندامة.

(فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ)؛ أي على هذا التفريط والإضاعة للأوقات عن ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي هو حياةٌ للقلوب، لا تحيا إلا به.

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في صحيح البخاري: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ قال: "إن حاجة القلب لذكر الله كحاجة السمكة إلى الماء". السمكة

كم تستطيع أن تصبر عن الماء؟ وإذا أُخرجت من الماء للحظات ماتت، والقلب حاجته إلى ذكر الله كحاجة السمكة إلى الماء، وهذا مستفاد من قوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

ثم إذا كانت المجالس التي يجلسها الإنسان مجالس فُحش، وبذاء، وغيبة، ونميمة، وسُخرية، واستهزاء إلى غير ذلك من الآثام؛ فما الذي يقوم منه في مجلسه ذلك إضافة إلى الندامة.

جاء في حديث آخر أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «لَا يَقُومُونَ مِنْهُ إِلَّا كَمَا يَقُومُونَ مِنْ جِيْفَةِ حِمَارٍ»، لكي تتصور الحديث لك أن تتصور شخص جلس في مجلس أو في غرفة وفي الغرفة جيفة حمار -حمار ميت مُتْن-، وجلس في غرفة فيها حمار مُتْن ميت وتنته ظاهر ثم قام من المجلس، ما الذي يعلق به من مجلسه؟! لا يقوم إلا برائحة مُتْن، رائحة سيئة، رائحة تلوته وتؤذيه في نفسه، في ثيابه، في هيئته، فذلك الذي يقوم من مجالس الآثام، ومجالس الحرام، ومجالس الغيبة، ومجالس النميمة إلى غير ذلك هو مثله مثل هذا، مثله مثل الذي قام من جيفة حمار؛ لأن الغيبة والنميمة والسخرية وغيرها من الآثام هذه حقيقة تُلوث المكان، وإن كان الإنسان ربما لا يرى بعينه التلوث، لكنها تلوث المكان وتؤذي وتضر.

يا سبحان الله! عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** لما قالت عن امرأة، امرأة كانت قصيرة ماذا قالت عائشة؟ أشارت بيدها، ما تكلمت، لم تتكلم، أشارت بيدها، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً»؛ لم تتكلم هي، قال: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»؛ هي ما تكلمت، أشارت بإشارة تؤدي مؤدى الكلام.

ولهذا بعض الناس ربما يغتاب بلسانه بدون أن يتكلم، أو بإشارة يد، أو بإشارة عين، ويظن أن نفسه بريء من إثم الغيبة؛ لأنه ما تكلم.

ويكون حركته التي تؤدي مؤدى الكلام معدودة في كلماته التي هي اغتيال، قال: «لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُزِجْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ».

فالشاهد: أن الإنسان عندما يقع منه شيء من الجلوس في المجالس التي هي غيبة، نميمة، سخرية، استهزاء إلى غير ذلك من المجالس يكون لها عظيم الخطر عليه.

وهنا لاحظ أيضًا ملاحظة مهمة جدًا! أم المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة كانوا من أتقى الناس وأحفظهم لمجالسهم، وربما لكونهم بشر يُخطئون يصدر منهم شيئًا عفويًا يسيرًا، ثم تجد النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**

يُعظم الأمر هذا التعظيم، وتجد في المقابل آخرين يعرف خطورة النسيمة خطورة الغيبة، ربما أنه خرج من موعظة قبل قليل عن الغيبة ثم لا يبالي يجلس في المجلس يغتاب بالعثرات، ويسخر بالعثرات، ويستهزئ ولا يهتم ولا يكثر بالأمر؛ فهنا خطورة عظيمة.

أنبه هنا على فائدة أشار إليها أهل العلم في كتب الأذكار ومنهم ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وهي: أن اللسان -يقول ابن القيم-: اللسان خلق ليتكلم لأجل الكلام خلق اللسان، فإن لم تحركه بذكرٍ ومفيد ماذا حدث؟ إن لم تحركه بذكرٍ ومفيد سيتكلم بما يضر، إذا أردت أن تستوعب هذا المعنى أكثر انتبه لقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** عندما قال: «الرجل يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً»؛ فإذا الإنسان إذا ما حفظ لسانه بالذكر -ذكر الله- والقول المفيد قد يخرج من لسانه كلمة أو كلمتين أو كلمات من الكلمات التي يندم عليها أشد الندم.

الشاهد: أن حقيقة هذه لفظة جميلة من المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ** في إيرادها لهذا الحديث عقب الحديث السابق والأحاديث الذي قبله؛ كأنه يريد بذلك أن يقول: الأذكار فضائلها عظيمة، وآثارها كبيرة، وعوائدها على العبد لا حد لها ولا عد في الدنيا والآخرة.

فمن أعظم الخسران وأشد الحرمان أن يقوم العبد من المجالس تلوا المجالس وهو لا يكتسب هذه الأجور بل يكتسب آثماً، ويحصد آثماً يُكبّ بسببها في النار يوم القيامة -نسأل الله لنا جميعاً السلامة والعافية-.

المتن:

قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وقالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» أخرجه مسلم في صحيحه.

الشرح:

ثم أورد المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ** هذا الحديث -حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**-: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي كُلِّ أَحْيَانِهِ)؛ الحين هو الزمان والوقت، فهو في كل وقتٍ ذاكراً لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**. يعني لا يفتر من ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، دوماً وأبداً يذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ**، قائماً يذكر الله، قاعداً يذكر الله، على جنبٍ يذكر الله كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** عن أولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران، من الآية: ١٩١]؛ يذكرون الله قِيَمًا أي وهم

قائمون، وهم ماشون، وهم واقفون، قعودًا أي وهو جالس أيضًا يذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في مجالسه دومًا يذكر الله، وعلى جنب عندما يضجع ليستريح، أو يضطجع لينام أيضًا يذكر الله؛ فهو في كل أحيانه يذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

إذا قرأت الآية وضممت إليها الحديث: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ توضيح لك معنى قوله: (يَذْكُرُ الله عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ)؛ أي: في كل أحواله.

بعض الطريقة وأهل الضلال يفسرون قوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: يرقصون، يذكرون الله ويرقصون، يتمايل، يرقص على اليمين وعلى الشمال، ويقعد ويقفز، ويُردد: الله، الله، هذا ذكر الله.

الدليل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ قيامًا يقفز، قعودًا يجلس بقوة ويتمايل، ويُردد الأذكار، الدليل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ انظر كيف يدخل الشيطان ويفسد الدين ويفسد الذكر، ويفسد العبادة، ولهذا في مجالس يسمونها مجالس ذكر يُحضرون الطبول ويبدؤون يرقصون ويذكرون الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، بعضهم يذكر الله بلفظ الجلالة: الله، الله، الله، يُردد هذه اللفظة بدون أن يضم إليها ما يُتمَّ جملة مفيدة، ولا يوجد، انتبهوا! لا يوجد في الأذكار المشروعة ما ليس بجملة مفيدة، هذه قاعدة مفيدة يا إخوان.

لا يوجد في الأذكار المشروعة في الكتاب والسنة ما ليس بجملة مفيدة، كل ذكر موجود في الكتاب والسنة بجملة مفيدة: الله أكبر، سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل، إنا لله وإنا إليه راجعون.. إلى غير ذلك من الأذكار، كلها جمل مفيدة. أما كلمة لا تدل على جملة مفيدة؛ هذه لا توجد في الأذكار.

فلما يُردد الإنسان: الله، الله، ألف مرة، آلاف المرات؛ ليس ذكرًا لله هذا، ذكر الله يكون بماذا؟ بجملة مفيدة؛ لأنه إذا قال: الله، يقال له: الله ماذا؟ حتى يظهر المعنى الذي ذكرت الله به: الله، الله أكبر، سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، هذه جمل مفيدة، ولهذا الأذكار المشروعة كلها جمل مفيدة.

قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، ما أروع الكلمة في الدلالة على فضيلة هذه الجمل، فلا يوجد مطلقًا في الأذكار الشرعية ما ليس بجملة مفيدة، فالذي

يُردد: الله، الله، أو اللطيف اللطيف، أو نحو ذلك هذه ليست جمل مفيدة، فليست ذكرًا، ليس مما شُرِعَ لنا أن نذكر الله به.

فتجد بعضهم يذكر الله بالاسم المظهر: الله، وآخرون يذكرون الله بالاسم المضمّر: هو، فقط، يردها عشرات المرات ويكررها: هو، هو، يردها، ما هذا؟ وهو في قرارة نفسه يذكر الله، انظر كيف يعبث الشيطان بهؤلاء.

أحد المهتدين من هؤلاء حدثني مرة هو بنفسه، وقد منَّ الله عليه بالهداية. قال: كنا نجتمع كل خميس في بستان في الصباح، وبصوت واحد نجلس وبصوت واحد نردد الضمير: هو، نرده بصوت واحد: هو هو بصوت واحد، هو يقول لي بعد أن هداه الله: لو كنت وراء جدار وتسمع صوتنا ولا ترى شخصنا لم يقع في قلبك أن الذي وراء الأجدار من بني آدم، سمّى لي حيوان من الحيوانات، قال: لا تظن أن من وراء الجدار بني آدم شيء آخر، هو هو بصوت واحد، وفي قرارة أنفسنا أننا نذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

فإذا انضم إلى هو هو الطبول والرقص يمينًا وشمالًا ثم يأتي مضلهم ويقول: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ ويقولون: هنيئًا لكم يا قوم على هذا الذكر العظيم لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، هنيئًا لكم، أنتم أولوا الألباب يقول لهم: أنتم المعنيون بقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ ويمضي القوم في ضياع، وفي تباب، وفي خسران، ولم يُحصلوا ذكرًا لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وإنما هم طوع الشيطان، ويُحركهم كيف يشاء في الضلال والضياع -والعياذ بالله-.

ثم أيضًا يقول قائل هؤلاء لهم: ليتما دوا في باطلهم يقول لهم: انتبهوا يا قوم، الذكر على ثلاثة مراتب، مقسّم إلى ثلاثة أقسام:

- ذكرٌ للخاصّة.

- وذكرٌ لخاصة الخاصة.

- وذكرٌ للعامة، عوام الناس.

ذكر العامة: لا إله إلا الله، وذكر الخاصة: الله الله، وذكر خاصة الخاصة: هو. ترددونها، ماذا يقول من يُستخفون ممن أمامه من أصحاب العقول المارجة، والأفكار الرائجة التي ما تدرك شيئًا، ولا تستوعب شيء،

يقول: لا ما نريد إلا خاصة الخاصة، أيش نبغى بالعامية وأيش نبغى بالخاصة؟ نريد خاصة الخاصة، فيتركون ذكر الله النافع المفيد الذي فيه الأجور العظيمة والثواب العميم، ويعيشون حياتهم على لا شيء على ذكر هو طوع للشيطان وليس فيه ذكر للرحمن **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

أين هؤلاء من الأحاديث الكثيرة؟! (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَسْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: **سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**)؛ كلمات وجمل مفيدة تدل على معاني، أما ما يصنع أولئك باسم الذكر؛ هذا ليس من ذكر الله، ولو عاش الإنسان عليه عشرات السنوات ليس ذاكرًا لله، ولا يُثاب على ذلك، بل يأثم، ولا يُكتب في حسناته بل يُكتب في سيئاته.

يا إخواني.. إذا كان ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** دخل على نفر وهم يقولون الكلمات الأربع: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)؛ ولكن بطريقة غير مشروعة، كيف الطريقة؟

واقف عليهم رجل ويقول: سبحوا مائة، فيقولون بصوت واحد مع بعض: سبحان الله (مائة)، ثم يقول: هللو مائة، فدخل عليهم ابن مسعود وقال: عدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ على الله ألا يضيع من حسناتكم شيء، يقول لهم: عدوا سيئاتكم وهم يُسبحون، يهللون، ويكبرون؟! لماذا؟ لأنهم في طريقة غير مشروعة.

إذا كان ابن مسعود قال في حق من يُسبح ويُهلل ويحمد ويُكبر، قال مثل هذه الكلمة، فما بالك بمن يذكر الذكر الجماعي الغير مشروع بالفاظ غير مشروعة؟!

على كل حال.. الذي جرنّا لذلك قوله: «أَنْ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَذْكُرُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»، والآية توضح المعنى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ وكلنا آلمنا قبل يومين ما جاء في سؤال طرحه أحد الإخوة يُخبر عن قوم يقولون مثل هذا الكلام.

جاء في السؤال: أن قوم من أهل الرقص، الرقص الذي هو رقص الذكر يستدلون عليه بالآية: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾؛ وقلت لكم في جواب ذلك السؤال: أن هذا الأمر في كتب الطُرقية مقرر بشكل واسع، حتى أن في أحد الكتب التي ألفت وأراد بها مؤلفها أن يحيي بها علوم الإسلام، عقد فصلًا في كتابه عندما تكلم عن الذكر وأنواعه إلى آخره عقد فصلًا عنوانه: [آداب الرقص]. أيش آداب الرقص؟ يعني في حلقة الذكر لما يرقص لابد أن يكون متحلي بآداب الرقص في حلقة الذكر عندما يرقص، لا بد أن

يكون متحلياً بآداب الرقص، وأخذ يُعدد الأدب الأول، الأدب الثاني، الأدب الثالث، آداب يتحلى بها الذي يرقص في مجلس الذكر.

وكل هذه تُكتب على أنها من علوم الدين، الدين الإسلامي الذي بُعث به محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**. انتبهوا! أنها من علوم الدين الإسلامي الذي بُعث به محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

هات من الآداب، قال الأدب الأول: أن الشيخ إذا كان يرقص في الحلقة ويذكر الله، ومن شدة تفاعله مع الرقص مسك ثوبه من شدة التفاعل ومزقه، ومزق ثوبه من شدة التفاعل، وأصبح بلا ثوب في المجلس، قال: من الأدب أن الذين حول الشيخ يخلعون ثيابهم، ما يصلح يكون الشيخ بدون ثوب والذين عنده بالثياب، لا، هذا من قلة الأدب. فإذا مزق الشيخ ثوبه يخلعون ثيابهم.

طيب.. هات الأدب الثاني، قال: الشيخ إذا كان مثلاً من شدة الرقص سقطت عمامته، العمامة ملفوفة ولكن مع الهز والرقص والقفز إلى آخره سقطت العمامة، قال: ما يليق وليس من الأدب أن الشيخ بلا عمامة وأنت عليك عمامة، اخلع العمامة. وذكر آداب عديدة يتحلى بها الذاكر في مجلس الرقص.

كل هذا يُكتب على أنه من أيش؟ يُكتب على أنه من إحياء علوم الدين الإسلامي، دين النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، حاشا وكلا والله، الدين برئ، دين الله برئ من هذا كله، هذا كله ضلال، هذا كله ضياع، هذا كله سفه، هذا كله من اتباع خطوات الشيطان، يعبث بهم الشيطان عبث، لا حد له ولا عد، يضيعون في هذه المجالس، يحركهم الشيطان كيف يشاء وهم عند أنفسهم أنهم يذكرون الله، وهم في الحقيقة طوع الشيطان، يُحركهم كيف يشاء.

فذكر الله شأن، وما يُمارسه هؤلاء من الضلال أمرٌ آخر لا علاقة به بدين الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ثم يزداد الألم في القلب على مثل هذه الممارسات عندما يأتي بعض هؤلاء ويقرأ آيات من القرآن يستشهد بها على باطله.

يقرأ آيات من القرآن ويستشهد بها على باطله، مثل الآية التي مرت: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** ^(١٩٠) **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ^(سورة آل عمران)، من الآية: ١٩٠-١٩٥؛ يتلوها على مَنْ تحته؟ على أن المراد بها الرقص، فهذه أشياء كلها -والعياذ بالله- ضياع في ضياع، وليست من دين الله في شيء.

وعلى كل حال.. من عوفي فليحمد الله، يا إخوان نحمد الله على العافية، احمدوا الله على العافية، من عوفي فليحمد الله، احمدوا الله على العافية، إن الله عافاكم من هذا البلاء.

وناس يعني مبتلون والله يا إخوان، وعند نفسه أنه أفضل الذاكرين، عند نفسه أنه لا يوجد على وجه الأرض أفضل منه ذكرًا لله، يُمارسون هذه الأعمال ممارسات وعند نفسه أنه أفضل الذاكرين.

حدثت عن أحدهم يجلس في زاوية ولا يقوم منها حتى للصلوات الخمس ما يقوم منها، ويمارس مثل هذه الأذكار، وعند من هم قرييون منه أنه من أولياء الله الكبار وما يشهد الصلوات الخمس، ولا يقوم للصلوات الخمس، تؤذن في المساجد وتقام وهو جالس في مكانه ويُردد أمثال هذه الأذكار ويُتمم بها، وعند من هم حوله أنه أفضل أولياء الله، حتى إن بعضهم إذا عرضت له حاجة ما يتوجه إلى الله الذي بيده أزمة الأمور، يذهب إلى هذا في مكانه ويعرض عليه حاجته.

وربما بعضهم يقول لبعض: إذا جئت إلى مثل هذا لا تحدثه بمشكلك هو يعرف، فقط قف عنده، قف عنده وهو يعرف، هو يطلع على ما في قلبك، أنت فقط اجلس عنده، وهو يعرف ما في قلبك، وأيضًا هو يضع في قلبك الحل.

كل هذا ضياع -والعياذ بالله-، يعشون بالناس عبث لا حد له ولا عد، كله تحت الذكر، تحت الولاية، تحت العبادة، إلى غير ذلك من المعاني.

ولهذا نحتاج والله ثم نحتاج إلى حمد الله كثيرًا، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه أن عافانا من هذا البلاء، من عوفي فليحمد الله عز وجل.

المتن:

قال رحمه الله: وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» أخرجه مسلم في صحيحه.

الشرح:

ثمَّ أورد المصنف **رَحْمَةُ اللَّهِ** هذا الحديث - حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -، وقد مرَّ معنا الحديث قريباً بلفظ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ **عَزَّجَلَّ** إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

في اللفظ الأول قال: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ»، ولفظ الحديث الثاني قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ»، ماذا تستفيد؟ لأن فيه أمر معروف عند أهل العلم وهي أن ألفاظ الحديث يفسر بعضها بعضاً، ففي اللفظ الأول قال: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ»، وهنا قال: «يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ»؛ ماذا تستفيد من اللفظين؟

لاحظ الفائدة: أن مجالس العلم التي يُتلى فيه القرآن يُفسر فيها كلام الله، يُقرأ فيها أحاديث الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، تُبين فيها الأحكام الحلال والحرام إلى غير ذلك؛ هذه مجالس أيش؟ هذه مجالس ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

ومرَّ معي في بعض كتب التراجم: أن أحد السلف يوماً كان يتكلم في مسائل الدين يُبينها للناس، وكان في المجلس شاب، وكان الشيخ استمر يبين الأحكام، فقال الشاب -قاطع الشيخ- وقال: يا قوم! يا ناس! سبحوا الله اذكروا الله، وكان الشيخ يُبين لهم الأحكام، فقال: يا قوم! سبحوا الله، اذكروا الله، فقال له: نحن من الساعة كنا في ماذا؟

فالشاهد: أن بعض الناس يظن أن ذكر الله هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، ولا يظن أن مجالس العلم هي مجالس ذكرٍ لله، بل في بعض الأحيان مجلس العلم أنفع للمُسلم من مجلسٍ يجلس فيه يُسبح ويحمد ويُكبر، وخاصةً إذا كان عنده أمور من ضروريات الدين ومهماته يجهلها، ولا يعرفها، أمور من التوحيد، أمور من واجبات الدين، من الصلاة، من الزكاة.. إلى آخره، يجهلها ما يعرفها، خيرٌ له من أن يجلس ليُسبح ويحمد خيرٌ له من ذلك أن يجلس في مجلس علمٍ يرفع به الجهل عن نفسه في أمور من فرائض الإسلام.

ولهذا قسّم العلماء العلم في حق المتعلم إلى قسمين:

- علمٌ هو فريضة.

- وعلمٌ هو نافلة.

العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ يقسمون العلم في حق المُتعلّم إلى قسمين: فرض، ونفل.

والفرض ما كان من أمر التوحيد وواجباته: الإيمان، وما لا يتم الواجب إلا به؛ فهذه في حق المسلم واجب، واجب فرض عين عليه لا بد أن يتعلمها وأن يجلس لمعرفة، وللعلم بها، فمجالس العلم قد تكون في حق الإنسان أفضل من مجلس يُسبح فيه، ويحمد، ويُكبر، ويُهَلَّل، وبخاصة كما أوضحت إذا كان يجهل أمورًا من ضروريات الدين وواجباته.

ثم في الحديث ذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الآثار المباركة لمجالس الذكر قال: «إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»؛ والكلام على هذه سبق أن مر معنا.

قال: (وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ). (وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ)؛ يعني كان مقصرًا في الأعمال ولم يساعده عمله إلى النجاة أو بلوغ الدرجات، فإن نسبه لا يُسرّع به، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون، من الآية: ١٠١]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [سورة الحجرات، من الآية: ١٣]. (وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)؛ يعني: لم يرفع نسبه الذي يرفع الإنسان عمله، أعمالًا صالحة، طاعات زكية، ما يقربه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من صالح الأعمال وسديد الأقوال.

قال: (وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ)؛ لعل هنا لفتة، لما ذكر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الاجتماع للعلم وما يكون عليه من الآثار؛ نبه في تمام الحديث إلى خطورة التفريط في هذا الأمر بقوله: (وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ)؛ يعني: لا تركز إلى أشياء تظنها تُنجيك، الذي يُنجيك عندما تلقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن تقبل على دينه إقبالًا صحيحًا بالعلم النافع والعمل الصالح، "علمٌ يهديك وعملٌ صالحٌ يُرقيك"، كما هي عبارة ابن القيم في [مفتاح دار السعادة]: "علمٌ يهديك"؛ يعني يهديك إلى الطريق القويم، "وعملٌ صالحٌ يُرقيك"؛ هذا الذي تنال به عالي الرتب وتنجو به من سخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والله أعلم، وصَلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه.